

تاريخ الإرسال: 2014/04/06 - تاريخ القبول للنشر: 3014/04/30 تاريخ النشر: 2014/07/06

## معتقل الجلفة (عين أسرار) من صناعة الألم إلى صناعة المجد من خلال تجرّبي ماكس أوب وروجي غارودي

أ. سعودي أحمد

قسم العلوم الإنسانية. جامعة الأغواط

تشهد الكثير من المدن الجزائرية وأريافها، على ما قاساه الآلاف من المبعدين والمعتقلين الفرنسيين والأسبان الجمهوريين المعارضين لحكومة فيشي العميلة للألمان إبان الحرب العالمية الثانية، خاصة عند نفيهم وإبعادهم إلى كثير من المعتقلات والمحتشدات، التي خصصتها حكومة فيشي<sup>1</sup> لمعارضيه لاسيما اليساريين منهم<sup>2</sup> وقد إمتلأت منطقة شمال إفريقيا خاصة الجزائر بكثير من هذه المعتقلات والتي بها معتقل "الجلفة" مسرح مداخلتنا هذه.

ولكن الغريب أن معاناة الكثير من هؤلاء المبعدين، الذين من بينهم شخصيات فكرية وفنية وأدبية كبيرة، تحولت إلى عالم من الإبداع بمختلف صوره، لاسيما الكتابات الثرية والشعرية المختلفة، والتي تحمل بين طياتها الكثير من الخامات التاريخية المعترية، ومن هاته المدن التي سجلت حضورها في هذه الكتابات والشهادات، مدينة الجلفة التي جمع معتقلها ما بين 1941-1943م مجموعة من المعتقلين غير العادين، الذين سيترك المعتقل والمدينة بصمة واضحة في أعمالهم وروائعهم، بل وقرارات حاسمة في حياتهم وعقائدهم، لكننا للأسف لا نجد من الناحية الثانية أي تنقيب ودراسة وتثمين لهاته الأعمال التي يرتقي بعضها لمصاف الأدب والفكر العالمي، وإن كنا لا نتعجب من الإغفال الفرنسي لهاته الأعمال، لأنها ببساطة كما هو الحال لدى ماكس أوب<sup>2</sup> وروجي غارودي، تفضح الإدعاءات الزائفة للديموقراطية والحضارة الفرنسية، وتكشف مدى الجبروت والظلم الفرنسي الذي تعرض له الكثير من أبناء جلدتهم وعقيدتهم، فما قولنا على الجزائريين الذين تعرضوا لإحتلال فرنسا وبطشها أكثر من قرن من الزمن. حتى أن ماكس أوب نفسه يقر قائلا: "لا أحد كان يصدق أن فرنسا قذرة وفاسدة لهذه الدرجة، السجن، المعتقلات، الأطلس الصحراوي، الهضاب العليا..."

وقد إخترت في مداخلتني هذه نموذجين، أحدهما دراسة لعمليين أدبيين للشاعر والأديب والسينمائي ماكس أوب، وأخرى للتحويل البارز الذي عرفته شخصية واحد من أبرز المفكرين في القرن العشرين وهو المفكر الكبير روجي غارودي، من خلال وجودهما ومعاناتهما داخل معتقل "الجلفة" لتشهد كتاباتهما عن ذلك الصراع ما بين تكبير العظام وتكسير الإيرادات.

المكان : معتقل الجلفة:

يتكلم أحد المعتقلين وهو "Fernand virlojeux" عن ظروف الاعتقال وإنشاء المعتقل فيقول: في الفاتح من مارس سنة 1941م جاء أحد السجناء ليقول لي أنه يجب علي تحضير نفسي لأنني سأغادر فوراً ، دون تحديد الوجهة، لأكتشف بأنني لم أكن وحيداً فهناك مجموعة من 205 سجين تم تكوينها، بعدها تم نقلنا لمعتقل سان جرمان، أين تم إضافة عدد من المعتقلين الآخرين لمجموعتنا، وبعد ساعات قليلة، نقلنا إلى الميناء حيث كانت السفينة "جبل الناضور" بانتظارنا، دون أن يجزنا أي أحد بوجهتنا الحقيقية ، حتى وصلنا لميناء مدينة الجزائر في اليوم الموالي، ولكننا شعرنا بسرعة أنها لم تكن وجهتنا النهائية، فقد حملنا دون تأخير محطة القطار في البلدة ، ليتواصل ترحيلنا عبر قطار كان مكتظاً بالمساجين والخيول التي حملت مع بعضها البعض (في كل قاطرة 8 خيول وأربعون رجلاً).

كان القطار مدفوعاً بقاطرتين نتيجة صعوبة التضاريس ، ثم سرعان ما بدأ يتوغل جنوباً نحو الصحراء. وأخيراً في يوم مارس تنتهي هذه الرحلة القاسية في محطة القطار بالجلفة، أين كان ساجانونا بانتظارنا ولتتم نقلنا إلى القلعة (الثكنة)، يبدو أنهم لم يحضروا أنفسهم جيداً لوصولنا ، فالغرف خاوية ، ولا يوجد شيء للأكل، نام الكثير منا على الأرض ودون طعام من شدة الإرهاق، أما قائد الثكنة فرحب بنا قائلاً: "سأنال منكم".

بعد زمن قليل وصلت الدفعة الثانية من المعتقلين، لم يكن هناك أي مكان لهم، إنتشروا للنوم حول الخيام والنصب الحجرية Marabouts، وسرعان ما نقل الأصحاء منا نحو جنوب المدينة، لبناء معتقل وإحاطته بالأسلاك الشائكة، في هذا الفصل من السنة ، يكون الطقس ممطراً ، كنا نضطر لننام ونستريح بمجموعة من ستة أفراد داخل الضريح، ولاداعي أن أذكر بأن أكلنا كان شبه منعدم ، ولم نكن نتلقى إلا عدداً قليلاً من الرسائل لأنها كانت تحتجز في بريد الجزائر أو بريد الجلفة.

بعد مدة غير وجيزة زارنا جنرال من العاصمة ، فقمنا بتعيين لجنة للقائه و تقديم مطالبنا له. وعندما تعرف على وضعيتنا ، قال لنا ا: "سيتم نقلكم قريباً وأين مكان ستنقلون إليه سيكون حتماً أفضل من هذا المكان".<sup>3</sup>

لقد كان من بين المعتقلين عدد هام من المثقفين والعسكريين السابقين من الكتائب الدولية ومن الأسباب أعضاء الجيش الجمهوري، والعجيب ان البعض منهم قد تم تكريمه في فرنسا بنياشين البطولة بسبب دورهم في الحرب العالمية الأولى.

ومع نزول الحلفاء بالجزائر في 8 نوفمبر 1942 سيشرع في تسريحنا إلى غاية 1943م وقد كنت من آخر من تم إطلاق سراحهم.

أما روجيه غارودي في كتابه "كلمة رجل" قائلاً : كانت خيمنا موضوعة على مساحات رملية صفراء، لاشجرة ، ولا حتى مجري مائي بسيط، لاشيء غير الحجارة والرمال، بالقرب من السطح شجيرات شبه ميتة ، دون أوراق، دون لون ودون إسم، ليست أكبر من هيكل عظمي لفأر ميت، في أعلى زاويتين للأسلاك الشائكة، خيمة لمجموعة من (القوم) (Goumiers) الذين يجرسوننا، ومن المثلث الذي يمثل باب الخيمة ، يخرج رشاش يجرسنا ويتصدنا.

عندما يهب ريح الصحراء وخاصة ليلاً، تزداد الأصوات ، وتزداد خيمنا حركة ، تتمدد وتتقلص ، حتي يتخيل لك أنك في بطن حيوان يعوي.<sup>4</sup>

في حين يصفه آخر كما يلي: ماذا أقول عن إفريقيا الشمالية، أين كان مسيرو المعتقل و خاصة السجناء، يجب أن يتعايشوا ويتأقلموا مع قساوة المناخ، مشكل النقل والتموين، فالعزلة تبدو واضحة بشكل جيد.

في معتقل الجلفة الذي تواجد به منذ مارس 1941 مجموعة من المزمتمين "Fortes tetes"، قادمين من معتقلات الميتربول السياسية، على إرتفاع 1200م، كان المناخ السائد هو مناخ الهضاب العليا الجزائرية، الخارجدا في الصيف والبارد جدا في الشتاء، بارد يزيد من قساوته الرياح الجليدية القادمة من الشمال التي تهب بمعدل يوم من كل يومين.

لم توضع لأستقبال المعتقلين سوى مجموعة من الخيم، مع نهاية السنة الأولى كان الكثير منهم مازال ينام بداخلها ، بينما ينام البعض في بناءات قصديرية بناها المعتقلون أنفسهم، بعد تدخل أندري جون فور في الربيع التالي ، نقل الجميع إلى بنايات أكثر صلابة، كما قام المعتقلون ببناء الجسر الذي يسمح بالدخول للمعتقل في حالة عاصفة شديدة المطر ، مما يدفع بفيضان الوادي المجاور والذي يستغرق عدة أيام ، تنقطع فيها الصلة كليا بالمدينة.

إستعمال عين ماء ملوثة تسبب ما بين صائفة وخريف 1941م في إنتشار وباء التيفويد ، حيث أعلنت 55 حالة توفي منا 15 حالة<sup>5</sup>.

### الألم يتكلم :يوميات الجلفة (Diario de Djelfa):journal de Djelfa<sup>6</sup>:

يعتبر "ماكس أوب" الوحيد الذي نقل لنا صورة عن أحوال المنطقة في تلك الفترة وعن المعتقل والمعتقلين ومضمنا ذلك ديوانه الشعري المسمى " دياريو دي دجالفالفالفا diario de djalfalvalfa " والمعروف بكتاب يوميات الجلفة الذي نشره سنة 1944 بالمكسيك حيث قال في مقدمته : ( .. تمت كتابة هذه الاشعار بمعتقل الجلفة ، في هضاب الاطلس الصحراوي . ربما أنا مدين لها بحياتي . لانه لحظة ولادتها كنت أستعيد قواي لأقاوم في اليوم الموالي(....) .

ترجم هذا إلى الفرنسية برنارد سيكو ضمن منشورات édition bilingue ، معرفا إياه قائلا : هاهو كتاب لاشك أنه سيفاجئ الفرنسيين ، بل وسيحرجهم والأرجح أنهم سيغضبهم، لأنه سيحيلهم إلى واحدة من أحلك فترات التاريخ المعاصر، تاريخ المحتشدات والمعتقلات في شمال إفريقيا أثناء الحرب العالمية الثانية، أين كان ماكس أوب معتقلا في معتقل الجلفة ما بين 28 نوفمبر 1941 إلى 18 ماي 1942.

لقد كتب أوب في ديوانه مجموعة هامة من الأشعار حول المنفى والظلم والمعاناة ، كتب منها سنة 1944 سبع وعشرون قصيدة شعرية تحت عنوان "يوميات الجلفة" تعد من أجمل ماكتب في الشعر السياسي و النضالي لدى المدرستين اليساريتين الفرنسية واللاتينية.

إن هذه القصائد المنفى تعد بلا منازع أفضل ماكتب شعريا وتشمل جميع أنواع القصيد من المقفى على الشعر الحر وحتى نوع من الشعر يشبه فن الزجل العربي في الأندلس<sup>7</sup> ، وأكثر الشهادات وضوحا عن هذا المعتقل القتال، لفقد كتب عن الموت ، عن الجوع ، عن البرد القارس في تلك الخيام البائسة، عن المعاملة القاسية للملازم Gravelle وحصن<sup>8</sup> Caffarelli، وعن هؤلاء الأهالي الفقراء البائسين الذين لا يتأخرون في المساعدة رغم حاجتهم الماسة.

لقد نجح أوب في أن يجعل من هذا العمل الشعري، وثيقة تاريخية تؤرخ لفرنسا الاستعمارية ووثيقة قانونية تجرم السياسيات الفرنسية في مرحلة من مراحل تاريخها الإجرامي الطويل ، ووثيقة ادبية شعرية جعلت المختصين يصنفون ماكس أوب كشاعر المنفيين الجمهوريين الاسبان الأول.

ولا يخفى من تفحص للقصائد مدى ارتباط " ماكس أوب "بالمكان (الجلفة) لقد كان ارتباط حنينيا ، لان " اوب " كان معتقل ب " عين اسرار" مقيد الحرية بعد أن حارب مع المقاومة الفرنسية ضد حكومة " فيشي " . والمعتقل كان مرادفا للبأس والشقاء والحرمان والجوع

والتعذيب . حيث وصل مع بداية شهر ديسمبر 1941 الى منطقة تعتبر من أسوأ المناطق بالمستعمرة الفرنسية خاصة من ناحية المناخ والتي تتميز بالبرد القارس والصقيع والجليد وقد وجد تلك الظروف مهيمنة على يوميات المساجين . وصور ذلك في قصيدة " قاضي العظام " Roedores de huesos-Rongeurs d'os بتاريخ 15 ديسمبر 1941 في المعتقل المخزي كما وصفه : ( في مقابر عامة - وفي الهواء الطلق- مصارف البحري الصخرية الكريهة - ...أغطية ملتوية ، تلك هي الالبسة الوحيدة المتوفرة - مفرغوا الاحشاء شديدي التلق .. مجاعة قاتلة ... - قمة جنون رجال مثل الضباع . بؤساء ضعفاء - هم لا يقضمون التراب ، بل الحجارة ..) اين يبصر من يمشون أقرب للأموات منهم للأحياء، ضحايا أشيع قاتل ،إنه الجوع.

ثم الوصف الذي أطلقه في قصيدة " سبق وقاله المثل " حيث يقول : ( ضد الجوع ، ضد الأسلاك الشائكة : ليلا ونهارا - بيدوا المغربي نائما - البندقية في المنحاس - من التلال الى الكثبان القاحلة ...). وهذا بالتأكيد يؤكد أن الوحيد الذي اعطى وصفا تفصيلا ودقيقا للمعتقل وحالة السحان والسجين هو " ماكس أوب " . اذ كان يصف الحالة النفسية للسجناء وما يلاقونه جراء الجوع والبرد القارس وسوء المعاملة والتعذيب ، بالإضافة الى موت الاصدقاء وحالة الذعر التي تتملك السجناء حينما يروا فقدان احد المعتقلين في " الفضاء الخالي " كما يصفها ماكس .

كما حملت عناوين قصائده كذلك حالة المعتقل الشبح خاصة قصيدة " يا الهي ، ما كل هذه الكلاب " كتبها " ماكس " في 15 مارس 1942 : ( القائد وكلبه - النائب وكلبه - الرقيب وكلبه - يا الهي ، ما كل هذه الكلاب - يذهب القائد - حاملا السوط الحاد - الكلب يرتجف - وهو يلعب العصا التي ستقتله - من يشبه الكلب اكثر ؟ - الكلب ام القائد ..) ، ثم قصيدة " ربح السموم " التي كتبها في 02 افريل 1942 : ( رياح عاتية ، ارض قاحلة ، فم جاف ، عطش - عالم أعمى ، الرمال متناثرة في السماء - غبار ، زوبعة وقلق كبير - من كتيب الى اخر - تخلق الرمال - ، تطمر وتدوي بصوتها - ارض تذهل وتطمر - في سماء متقلبة وعائدة ) الى اخر قصيدة " حاملا الهراوة في يده " التي يقول فيها " ماكس " : ( حاملا الهراوة في يده - ينظر الرقيب الحارس ، وبمعن في النظر - في اللحم الرديء - فم واعين مفتوحة - ... ندبة على الصدر - اثر عميق من اسبانيا - سألهم : ما سبب وفاته ؟ - الجوع والبرد - تنزل على وجهه دمعين من الوحل - ألا تحجلوا من انفسكم ؟ ...). وفوق ذلك نرى أن " ماكس أوب " أثرت فيه السنوات التي قضاها في المعتقل حيث فرضت إدارة الحبس على المعتقلين أعمالا شاقة تمثلت في بناء الثكنة العسكرية ومشروع قطار الصحراء . كما أن " أوب " كان يمضي وقته المتبقى في صنع الاحذية التي يستخدم فيها مادة الحلفاء . كما كانت أشعاره بمثابة عزاء واستئناس لرفاقه . حيث أعتاد أن يقرأها عليهم وجعل منها مصدرا للالهام ليكتب حول المعتقل وحول " فيشي " وحول الجلفة . وحتى حول الغرباء من متسول " ماكس أوب " الى جندي " روجي غارودي " هذا الأخير الذي كتب وهو معتقل في مخيم " العار " بعين اسرار بأن ( ..سبب بقائنا - يعني المعتقلين - يعود الى ذلك الجلفاوي ..) والرواية معروفة . ثم تتكرر نفس الواقعة مع نفس السيناريو مع " ماكس " الذي علمه ذلك المتسول الآثار على النفس " عندما رآه يشحت اللقمة ويتفاسمها مع المساجين " وهي ما تضمنتها قصيدة " حكاية كاملة " حيث جاء فيها : ( عند مروره - وبحركة سريعة - أعطاني المغربي خبزا - عرف ، لقد عرف ذلك ، انه الجوع ..) .

علاقة " ماكس أوب " بالمعتقل علاقة كبيرة وعلاقته بأهل الجلفة والذين يسميهم المغاربة علاقة أكبر حيث أفرد حيزا كبيرا من أدبه للجلفة . ليمنح له بحق إسم " شاعر الجلفة " والتي تضمنها ديوان " دياريو دي دجالفا " والتي رحل عنها يوم 18 ماي 1942 بعد أن صورها في قصائده بعد عشرة دامت قرابة السنتين بمعتقل " عين اسرار " والتي تعتبر شهادة أديب إسباني عن فترة من أحلك فترات بداية القرن العشرين . و لا أدل على ذلك مما جاء في قصيدة " الجلفة منظر طبيعي " والتي كتبها قبل قصيدة " منظر طبيعي " حيث يقول فيها : ( أمازال الوقت ليلا ؟ - ربما نسيم بارد وشاحب ، ينتصب على التلال الميتة - مانحا النجوم بريقا جديدا وقاتلا - شاطئ فضي عريض يمتد حتى الافق - آخر نفس للقمير ، هاهو يوم جديد ، نسيم عليل خفيف - أصل ، بريق رونق ليل مضيء غاية في العذوبة ، بطء أبدي -

في هذا الصمت ، اشعر بالأرض تتدحرج نحو الأمام - هاهي الأسلاك الشائكة تبرز بوضوح ، نحو المشرق ، سوداء ورمادية ناعمة - ..... نسيم خفيف وبارد ، لقد وقع النهار في اسرها ، بعيدا جدا ، تسمع اخر وقوقة مستعزثة لضبع أخير - الصحراء انها مرآة السماء - ... للسماء : بطاقة بريدية لقسطنطينية - يا لشساعة كل هذا - لكن النور يغطي المحيطات ويلغى المسافات . كلهم مساجين ) . وبالإضافة الى روح الدعابة والمرح كانت قصائد " اوب " رفيق وأنيس المعتقل وحتى المعتقلين الآخرين كانوا يرون فيها نبراسا ويوما للفرج والحرية ، حيث اعتاد ان يراها عليهم وفي ذلك يقول " ماكس اوب " : ( .. أنا مدين لها بحياتي لأنه بولادتها استعيد قواي في اليوم الموالي ، كل شيء يروى فيها حقيقي وحدث في الواقع )<sup>9</sup> .

**ماكس أوب ومقبرة الجلفة (El cementirio de Djelfa)** : إن تألق ماكس أوب في إبداعه لمقبرة الجلفة ، يبدأ من كونه إستطلاع أن يحول عملا أدبيا فنيا محضا ، إلى محاكمة تاريخية لبطش المستعمر الفرنسي في نطاقين تاريخيين وبشريين مختلفين ، يشتركان في نفس الشعور بالظلم والاضطهاد ، ويفجران نفس الشعور بالعطف والتضامن لدى القارئ، إنهما الاسباني المعتقل والجزائري المحتل .

لقد ذكر الناقد الأساسي لمؤلفات الكاتب ماكس أوب "إنياثيو سول ديفيلا دورانتي Ignacio soldevila durante " أن ماكس أوب من إقامته في المكسيك سمع عن حرب الجزائر وفضاعاتها، فتساءل بكل عفوية عما ما يحدث في مدينة الجلفة، التي غادرها منذ عشرون سنة خلت.... ظلم السلطات الاستعمارية وذكريات رفاقه، أهم موتى أم احياء، وكثرت الذكريات في مخيلته، إنه واجب الذاكرة وواجب التضامن مع الجزائري المسحوق هناك بكرامية السلطات الفرنسية للمهجرين الآسبان ذات يوم إلى نفس البلدة، إن هذه الذاكرة وهذا الواجب الاخلاقي ، يستدعيه للتحرك، للكتابة ، للتنديد....

في مقبرة الجلفة يتقمص أوب شخصية نزيل قديم في السجن ، ويكتب رسالة لنفسه، يتحدث فيها عن الجزائر في خضم ثورة التحرير، حيث تتكرر نفس التجاوزات التي كانت تمارس ضد المعتقلين إبان الحرب العالمية الثانية ضده وضد رفاقه ، تتكرر الآن ضد الثوار والمعتقلين الجزائريين وبشكل أفضع، إنه نفس الجلاد، لكن الضحية جيدة ، وسلاح الاضطهاد أكثر فتكا وتقتيلا.

يذكر أوب بمرارة تفاصيل الأسر و يستحضر الألم من الماضي في ممارسة أدبية تشكل متنفسه الوحيد من الظلم وأداته الوحيدة والممكنة للتضامن مع الجزائريين ولو بمشاركة الألم.

هذه الكتابة ، تشكل مجموعة قصصية تحت عنوان " قصة موت سيئة Historias de mala muerte " تتمازج بين خرافية البناء وكتابة السيرة الذاتية Auto biographie ، لكنها بأسلوب كلاسيكي الشكل : رسالة من شخص لصديقه ، جديدة ضمن ما أصبح يعرف "الرواية التراسلية Narration épistolaire".

وحسب دافيد لودج فإن هذا العمل الفني لماكس أوب مختلف تماما لأنها سيرة ذاتية بدون الأنا التي نجحها في المذكرات أو السيرة الذاتية وفي هذه الحالة مع مقبرة الجلفة فالباعث ليس هو الكاتب، ولكن الراوي موجود داخل الرواية نفسها ، شاهد مبتكر كشخصية من طرف الكاتب نفسه والكاتب هو الصديق الذي تصله الرسالة في مخطط سيمائي كما يلي:

بارديناس ——— كاتب مزيف

ماكس أوب ——— كاتب حقيقي

وبذلك فماضي بارديناس هو الشيء الحقيقي الوحيد في شخصيته ، وعليه فإننا نحصل على الخلطة النهائية الثاية : ماكس أوب موجود في المكسيك يكتب لنفسه رسالة، متمصا فيها شخصية بارديناس الذي يخبره بما يحدث في مدينة الجلفة سنة 1961م ومتذكرا في السياق نفسه ذكرياته في معتقلها ما بين 1941-1942م<sup>10</sup>.

هذه الرواية تعطي شهادة عن كفاح الجزائريين وكرهيتهم للتسلط الفرنسي ، يصف اليوميات في الجلفة قائلا : "إننا ندفع إشتراكاتنا لجهة التحرير الوطني ، بعض الشباب يصعدون للجبل ، منذ سنتين الأشياء تغيرت... هناك محاولات إغتيال، كمائن ، سكك حديدية وطرق ملغمة، العمل يتزايد في محل التجارة بطلب التوابيت" ص81.

"قبل ايام كان هناك مشادات، معركة حقيقية، شرسة كحرينا، مدافع رشاشات وحتى طائرات تالأتي من حين لخر لتحدث خرابا كبيرا، لم يبق احد ، وكان هناك كثير من الموتى، أكثر من مئة فلاقة ، وحوالي عشرون أوروبا، كان الإشتباك قريبا من المقبرة." ص81-82.

لا ينسى الكاتب وصف المدينة متحريرا الدقة ما امكن ، يوجد معتقل الجلفة في الحي المسمى حاليا عين اسرار: "أترى الهضبة السفلى، المرابط، بنصف دائرته مغروسة على قاعدة مربعة، من الناحية الأخرى للنهر، الكتلة المظلمة للقلعة ، القرية المغربة ، لم يتغير أي شيء.

هدف رسالة ماكس أوب هي تحية لحرب الجزائر وإعتراف متأخر لكل الضحايا الجمهوريين المدفونين في الجلفة، فهو لم يغفر أبدا للفرنسيين خيانتهم للقضية الاسبانية، ويجد ظلم المستعمر ومظلومية المناضلين في أن الفرنسيين دفنوا جثث موتى المسلمين في مقبرة مسيحية فوق جثث موتى مسيحيين من الاسبان" ص8.

لقد عايش حرارة تضامن السكان المحليين، وهو الآن يدعمهم في مأساتهم، إنه يرى التضامن في البؤس، سيعترف بالثوار العظام، الذين إحتقرتهم السلطات الفرنسية بإستعمالها تسمية فلاقة ، ليحس بأنه طرف في القضية الجزائرية، إنه مخلص حقيقي يساهم مع جبهة التحرير الوطني. ص81.

إن المعطيات السابقة لا تنفي و جود بعض الحالات الاستثنائية من اللاحقين الاسبان الذين تعاطفوا ماديا مع الثورة التحريرية ومن ذلك ما تضمنته الرسالة المطولة التي تلقاها الكاتب الاسباني ماكس أوب في المكسيك - والذي كان لاجئا في مخيم الجلفة - من احد الأصدقاء الذين بقوا في الجلفة و يدعى (بارديناس) .

يقول : « إن أحشاءنا تنطق بالحرية التي سعينا إلى تجسيدها من خلال حرينا في اسبانيا و اليوم من خلال هذه الحرب و إن قلت لك بأنني لم أشارك فيها أكون أكذب عليك» ... ثم يضيف « إنني خسرت حربا و رحمت أخرى » - هذا بعد النجاحات العسكرية و الدبلوماسية التي حققتها الثورة الجزائرية - كما يؤكد له انه كان يدفع الاشتراكات إلى جبهة التحرير الوطني، و يخبره بوقائع معركة كبيرة دارت بين عناصر من جيش التحرير الوطني و القوات الفرنسية المدعمة بالطائرات بالقرب من مقبرة المدينة، و في نهاية الرسالة يعلمه بأنه سيعدم بعد ساعات من يوم 8 مارس 1961 لأنهم وجدوا آثار البارود في يديه ، ثم يضيف : « أنهم لا يعلمون بأننا و لدنا هكذا » ، إن هذا دليل واضح على مشاركة البعض من الاسبان في الثورة الجزائرية.

### المُفكّر الفرنسي روجي غارودي والاعتراف الأبدى:

ولد روجيه أو رجاء جارودي Roger Garaudy الفيلسوف الفرنسي في مارسيليا عام 1913م بفرنسا، لأُم كاثوليكية وأب ملحد. اعتنق البروتستانتية وهو في سنّ الرابعة عشرة، درس في كلٍّ من جامعة مرسيليا وجامعة إيكس أون بروفانس، وانضمَّ إلى صفوف الحزب الشيوعيّ الفرنسي، وفي عام 1937 عين أستاذاً للفلسفة في مدرسة اللّيسيه من ألي. خلال الحرب العالمية الثانية أخذ كأسير حرب لفرنسا

الفيشية في معتقل الجلفة بالجزائر بين 1940 و 1942. وفي عام 1945 انتخب نائبا في البرلمان، وصدر أول مؤلفاته عام 1946، حصل جارودي على درجة الدكتوراه الأولى سنة 1953 من جامعة السوربون عن النظرية المادية في المعرفة، ثم حصل على درجة الدكتوراه الثانية عن الحرية عام 54 من جامعة موسكو. طرد من الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1970م، وذلك لانتقاداته المستمرة للاتحاد السوفياتي، وفي نفس السنة أسس مركز الدراسات والبحوث الماركسية وبقي مديراً له لمدة عشر سنوات. روجيه جارودي قبل إسلامه عاش روجيه جارودي مجلّ المحطات المهمة التي شهدها القرن العشرون، فقد ولد سنة 1913م بمدينة مرسيليا جنوب فرنسا قبيل سنة واحدة من اندلاع الحرب العالمية الأولى، وعاش انتهاء الحرب الأولى وتوقيع الهدنة سنة 1918م، وعرف صعود النازية في ألمانيا؛ ومن ثمّ إعلانها الحرب في أوروبا ومقاومتها التي شارك فيها (جارودي) وسُجن على إثر ذلك من قبل المارشال بيتان المتعاون الفرنسي مع النازية، كما واكب جارودي سقوط ألمانيا النازية وصعود الاتحاد السوفيتي عقب الحرب، حيث كان متبنياً متحمساً للشيوعية وكان أول مترجم فرنسي لمؤلفات لينين، حيث ناقش في موسكو أول دكتوراه لفرنسي في جامعة موسكو بعنوان (الحرية)، غير أن جارودي تمرد على الأفكار الشيوعية ليستقبل أو ليترد من الحزب الشيوعي سنة 1970م، ويمضي في جولة في العالم يقابل فيها أبرز الشخصيات والزعامات العالمية آنذاك، مثل: الزعيم الكوبي فيديل كاسترو، والرئيس الجزائري هواري بومدين، والعديد من الرؤساء العرب الآخرين.

### في معتقل الجلفة اول إحتكاك مع الإسلام:

وبما أنه كان عضواً في الحوار المسيحي - الشيوعي في الستينيات، فقد وجد نفسه منجذباً للدّين وحاول أن يجمع الكاثوليكية مع الشيوعية خلال عقد السبعينيات. وبدأ يميل إلى الإسلام في هذه الفترة .

في 2 يوليو 1982 أشهر جارودي إسلامه، في المركز الإسلامي في جنيف. وعن حيثيات إسلام جارودي فإن أحد أسباب انجذاب جارودي نحو الإسلام هي حياة المسلمين العاديين، وإخلاصهم لقيمهم، واحترامهم للإنسان؛ حيث يروي جارودي نفسه القصة التالية: "عن الرصيد الأبرز في حياتي والذي صاغ وجداني وهباني للدخول إلى الإسلام بدا يتشكل في معسكر عين أسرار بالجلفة"، ويضيف في احد الحوارات التي أجريت معه: "لقد عشت في بداية الحرب العالمية الثانية تجربة فريدة من نوعها، لأن قوات الاحتلال الألماني قبضت على المجموعة الأولى للمقاومة الفرنسية حين سقطت باريس، وصدر الأمر بنقلها على معسكر الجلفة في جنوب الجزائر وكنت احد افراد هذه المجموعة".

يذكر Fernand virlojeux ، في شهادته السابقة مايلي : من بين ال500معتقل ، الذين كنت معهم ، كان هناك 480 ذوو توجه يساري شيوعي، كانوا من مناطق مختلفة من فرنسا،ومن مختلف الفئات الإجتماعية ، فبعضهم فلاحون وبعضهم تجار وبعضهم موظفون ، وأغلبهم أناس مثقفون،أذكر منهم ثلاث مدرسين هم :جاك قيومان، بيار فالينيان ، أندري سارفان، ورئيس غرفتي ، روجي غارودي، أستاذ الفلسفة في ثانوية la peyrous à Albi أما عن الحادثة الهامة والمتعلقة بإسلامه وتأثير سلوكيات الجزائريين في المعتقل عليه فقد ذكرها في سياقين<sup>11</sup> أحدهما أكثر تفصيلا في كتابه " كلمة رجل" <sup>12</sup> وفي الرابع من آذار مارس سنة 1941م كنا زهاء 500 من المعتقلين والمسجونين لمقاومتنا الهتلرية، وكنا هجرنا إلى "جلفة" في جنوب الجزائر، وكانت حراستنا بين الأسلاك الشائكة في معسكر الاعتقال مدعومة بتهديد رشاشين، وفي ذلك اليوم بالرغم من أوامر قائد المعسكر، وهو فرنسي، نظمنا مظاهرة على شرف رفاقنا من قدامى المتطوعين في الفرق الدولية الإسبانية. وقد أثار عصياننا حفيظة قائد المعسكر، فاستشاط غضباً وأندرنا ثلاثاً بأنه سيأمر بإطلاق

النار إذا لم نعد على الفور لخيامنا، ومضينا في عصياننا، فأمر حاملي الرشاشات وكانوا من جنوب الجزائر بإطلاق النار، فرفضوا، وعندئذٍ هددهم بسوطه المصنوع من طنّب البقر، ولكنهم ظلّوا لا يستجيبون، وما أجدني حيّاً إلى الآن إلا بفضل هؤلاء المحاربين المسلمين وقد أوضح لنا أحدهم سبب ذلك: إن ما ينافي شرف محارب من الجنوب أن يطلق رجل مسلح النار على رجل أعزل.<sup>13</sup>

وبدا من هذه التجربة، أخذت منذ إطلاق سراحني (في الجزائر)، ثم في تونس، بدراسة الإسلام...<sup>14</sup>،

ويضيف جارودي في حوار آخر: وكانت هذه أول مرة أتعرّف فيها على الإسلام من خلال هذا الحدث المهم في حياتي. "وبذلك فقد وعى جارودي عند دراسته للثقافات غير العربية الإمكانيات الخاصة للإسلام، فالرجل لم يسلم بمحض الصدفة بل جاء إسلامه بعد بحث طويل في حضارات وديانات العالم كله. توفي المفكر والفيلسوف الفرنسي، روجيه جارودي، في 13-6-2012 عن عمر يناهز الـ99 عاماً في بلدية شينفيير في سور مارن، جنوب شرق باريس. وذلك بعد أن خدم الإسلام بفكره وحججه موافقه لا سيما ضد الصهيونية التي عانى بسببها كثيراً في فرنسا وأوروبا و رغم ذلك استمر في موافقه باعتباره كان من أشد المعادين للسياسة الإسرائيلية كما ساهم وبقوة في الوقوف ضد تحريف الغرب لصورة الإسلام.

### كيف يصنع الألم المجد:

هكذا لم تستطع فرنسا كسر إرادة الرجلين، وهذا المعتقل الذي كان يفترض به ان يقتل في الرجلين معاني الرجولة والأمل والتحرر، إنقلب فيه السحر على الساحر ، وأصبح فيه السجين حراً والسجان أسيراً.

تحرر السجين بقيمه العليا المؤمنة بالتحرر والنضال ، أما فرنسا فلم تزد سوى تأكيداً لزيّف إدعاءاتها، وبخروج هؤلاء المعتقلين من السجون والمعتقلات في شمال إفريقيا، فسرعان ما تمّ لها فرنسا بطينة أخرى من الرجال العظماء ، لكنهم هذه المرة هم من سيصنع نهايتها. أما الجلفة فيرسمها التاريخ إلى الأبد كصانعة للمجد لصانعة للألم ، في إنتظار أن يكتب أبنائها ، بدل مقبرة الجلفة : فردوس الجلفة.

## الإحالات والهوامش:

1- حكومة فيشي *Gouvernement de Vichy* حكومة فرنسية موالية لألمانيا النازية، تشكلت في أثناء الحرب العالمية الثانية بعد أن اقتضت القوات الألمانية الأراضي الفرنسية عبر هولندا وبلجيكا بقيادة الجنرال غوردريان في أيار/مايو 1940م، وهي منسوبة إلى مدينة فيشي (متنح في جنوبي فرنسا)، واستمرت حتى عام 1944م. ومع وصول القوات الألمانية إلى باريس سقطت حكومة بول رينو *Renaud*، وأسند تشكيل الحكومة إلى نائبه المارشال هنري فيليب بيتان *H.Ph.Pétain* الذي أعلن من فوره قطع علاقات فرنسا الدبلوماسية مع بريطانيا، معلناً موالاته لألمانيا النازية تحت ذريعة حماية البلاد والدفاع عن مصالحها العليا، ووقع مع الحكومة الألمانية اتفاقية هدنة تضمنت نزع سلاح القوات الفرنسية، وقسمت البلاد إلى قسمين، الأول وهو الأكبر (ثلاثة أخماس فرنسا) يكون خاضعاً للنفوذ الألماني المباشر، والثاني تقوم عليه الدولة الفرنسية الجديدة برئاسة بيتان ولكنه في حقيقته كان خاضعاً كذلك للإملاء الألمانية، ولم يكن لحكومة بيتان، إلا قدر ضئيل من الصلاحيات. ومع أن قبول هذه الحكومة لشروط المعاهدة المعقودة بين الطرفين جاء بحجة إنقاذ ما يمكن إنقاذه، غير أن واقع الحال أثبت أن حكومة فيشي تجاوزت ما هو مطلوب منها عندما تبنت بعض المبادئ النازية واليمين المسيحي المتطرف، مما دعا إلى رفضها من قبل عدد كبير من الفرنسيين، وعلى رأسهم العقيد (الجنرال فيما بعد) شارل دوغول بوصفها مهينة بحق فرنسا، ولا تتفق مع المبادئ والمثل التي يتطلع إليها الشعب الفرنسي، فغادر إلى لندن وترأس هناك ما يعرف باللجنة الوطنية الفرنسية، داعياً إلى المقاومة المسلحة معتمداً على بعض رفاقه من العسكريين، وقام دوغول بتشكيل حكومة وطنية عرفت بحكومة (فرنسا الحرة) بمساعدة الحكومتين البريطانية والأمريكية، ودعا الفرنسيين في داخل فرنسا ومستعمراتها في الخارج إلى مقاومة الألمان. و قد نظر أتباع دوغول إلى الفيشيين أنهم خونة، وبلغ الصراع أشده ما بين الفريقين، وقام الدوغوليون بمساعدة القوات البريطانية بضرب قوات فيشي في المستعمرات الفرنسية في سورية ولبنان وإفريقيا، وتمكن الأسطول الأنكلو أمريكي من إنزال ضربات قوية بالأسطول الفرنسي الموجود في المغرب والجزائر وداكار. وفي عام 1943م عقد كل من تيودور روزفلت *Th.Roosevelt* وونستون تشرشل *W.Churchill* مؤتمر الدار البيضاء، حضره دوغول، وتقرر فيه وضع خطة عسكرية لتحرير فرنسا والقضاء على الوجود الألماني فيها. وفي حزيران/يونيو 1944م بدأ الهجوم على شواطئ النورماندي من قبل قوات مشتركة بريطانية وأمريكية وكندية بقصف جوي شارك فيه نحو 2000 طائرة، وبعد معارك ضارية وصلت القوات المتحالفة إلى باريس في 25 آب/أغسطس 1944، بصحبة شارل دوغول بعد أن تكبدت ألمانيا خسائر فادحة (نحو مليوني جندي بين قتل وجرح وأسير) وفقد الحلفاء نحو نصف هذا العدد تقريباً. وقام دوغول بتشكيل حكومة مؤقتة ألقت القبض على بيتان وحكمت عليه بالموت، بيد أن دوغول أبدل بالحكم السجن مدى الحياة وسط تشكيل كثيرين بعدالة المحكمة التي أصدرت هذا الحكم لعدم قناعتهم بجديّة تعاون بيتان مع الألمان. أما بيير لافال فقد هرب إلى النمسا في نيسان/أبريل 1945، ومنها إلى برشلونة، ومنها إلى إنسبروك *Innsbruck* حيث ألقت القوات الأمريكية القبض عليه وسلمته إلى السلطات الفرنسية التي حكمت عليه بالإعدام بتهمة الخيانة العظمى، وتُقد في الحكم رماً بالرصاص في تشرين الأول/أكتوبر 1945.

2- ولد ماكس أوب ولد في باريس عام 1903 من أب ألماني وأم فرنسية، مع اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914م، رفض والده ان يحمل السلاح الألماني ضد الفرنسيين، أو الفرنسي ضد الألمان، فهاجرت العائلة إلى إسبانيا، لتستقر في فالنسيا وليتحصل على الجنسية الإسبانية. أصبح ممنوعاً عليه منذ ذلك الحين العيش في ألمانيا وفرنسا على السواء. تهاجر العائلة إلى إسبانيا وتستقر في فالنسيا. يكر ماكس ويبدأ الكتابة في صحيفة الحقيقة "لا فيرداد". يصير أوب يسارياً فوضوياً. فيشارك في الحرب الأهلية الإسبانية 1936-1939م، إلى جانب لوركا وعقد صداقة مع أندريه مالرو وفيدريكو غارسيا لوركا وبابلو بيكاسو وسلفادور دالي وغيرهم من كبار مبدعي إسبانيا والعالم. كتب في المسرح والرواية والشعر والسينما. لكن مع إنتصار فرانكو وأنصاره في الحرب يعتقل بعدها بتهمة الشيوعية سنة 1939م ويدخل معسكرات الاعتقال تحت حكم فيشي. لكنه يتمكن من الفرار إلى المغرب بعد ثلاث سنوات ويسافر إلى المكسيك ويمكث هناك حتى وفاته عام 1972، مخلفا وراءه أكثر من أربعين كتاباً بين رواية وقصة ومسرح وسينما.

3- Paul Chaupin, *Déportés à Djelfa*, p36

4- Roger Garaudy, *Parole d'homme*, ed, Robert Laffont, col points Actuel, p11, 12.

5- Denis peschanski, *Les camps français d'internement (1938-1946)*, Thèse pour l'obtention du grade de docteur d'État es-lettres, UNIVERSITÉ PARIS 1, 2000, p663.

6- ترجم الكتاب إلى الفرنسية من طرف Bernard sicot، وهناك بعض الترجمات لجزء من قصائده باللغة العربية وهنالك رسالة ماجستير تحت عنوان دراسة تحليلية نقدية لمختارات شعرية من يوميات الحلفة لماكس أوب ترجمة برناوي نجمة "مختارات للشاعر ماكس أوب": يوميات الحلفة، للطالبة محمودي أمينة إيمان، بجامعة الجزائر 2. نوقشت سنة 2013  
بتقسيم الترجمة.

7- Saliha zerouki, Max Aub et l'Algerie (Diario de Djelfa) entre littéralité, réalité et symbolique, l'expression, Lundi 12 Juin 2006

8- يتحول اسمه بعد ذلك إلى *le Camp BARAQUE* وقد إحتضن خصوصاً الفرقة الرابعة مشاة للجيش الفرنسي.

9- أنظر أسبوعية المحور، بتاريخ 12 أوت 2010. والموقع الإلكتروني: <http://ghalamer.katib.org/>

10- saliha zerouki kherbouche, *le cimetière de Djelfa de Max aub*, Un exercice de transtextualité, (colloque «littérature orale et écritures poste-coloniale») p2.

11- -regarder aussi, Roger Garaudy, *Mon tour du siècle en solitaire* (Mémoires), paris Robert Laffont, 1989, p66.

12- Roger Garaudy, Parole d'homme, op-cit,p11-17.

13- روجيه غارودي، في سبيل حوار الحضارات، تعريب ، عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت ، لبنان ، 1999، ص 5 .

14- نفسه، ص6.